Arabic Language & Literature
Vol. 16, No. 3, Autumn 2020
Manuscript Type: Research Article

https:// journals.ut.ac.ir/
Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
DOI: 10.22059/jal-lq.2019.283160.938

Review of the Character of Youssef al-Sabaei and Naeb Ezraiel Novel based on Maslow's Theory

Zineh Erfatpour*

Assistant Professor, Department of Arabic, Institute of Humanities and Cultural Studies, Iran

(Received: July 8, 2019; Accepted: January 20, 2020)

Abstract

Youssef al-Sabaei (1917-1978) Egyptian Literary character wrote short stories, novels and critical essays, but he was characterized by the mood of the real artist. On the one hand, he spent his life preserving his personal freedom. On the other hand, he performed his duty towards the homeland through his writings to save his homeland from all traces of the British occupation. And to cleans it another period of corruption and exploitation. He wrote twenty-two stories and fifteen novels and four plays not published critical articles, and the first novel published in 1947, is the novel the successor of Ezraiel, and in this article we examine the character of Youssef al-Sabaei based on Maslow's views, as we study Naeb Ezraiel novel , A psychological study based on the Maslow pyramid of human needs, and let us identify through the research on the character of the writer on the one hand, and deepen in the story of the Deputy Naeb Ezraiel novel. and its characters, especially the protagonist of the novel through the pyramid Maslow, to see how human needs are reflected in this novel, and according to the runways of this pyramid does the protagonist reach self-realization. One of our findings is that the character of Youssef al-Sabaei can be seen as a self-fulfilling figure, and that the protagonist in the story of the successor of Ezraiel fails in the realization stage, even though he was aware of its features and stood in all its angles.

Keywords

Youssef al-Sabaei, Naeb Ezraiel Novel, The Human Theory, Maslow's Pyramid.

---

* **Corresponding Author, Email:** z.erfatpor@gmail.com

مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١٦، العدد ٣، خريف ٢٠٢٠م
صفحة ٤٣٩-٤٦٠ (مقالة محكمة)

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

دراسة شخصية يوسف السباعي ورواية "نائب عزرائيل" على أساس نظرية ماسلو

زينة عرفت پور*

أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية وآدابها بأكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، إيران

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٩/٧/٨؛ تاريخ القبول: ٢٠٢٠/١/٢٠)

الملخّص

يوسف السباعي (١٩١٧-١٩٧٨) أديب مصري كتب قصصاً قصيرة وروايات ومقالات نقدية، ولكنّه تميّز بمزاج الفنان الحقيقي فهو من جهة أمضى حياته محافظا على حريته الشخصية ومن جهة أخرى قام بواجبه تجاه الوطن من خلال كتاباته لينقذ وطنه من كل آثار الاحتلال البريطاني حيناً وليطهره حيناً آخر من رواسب الفساد والاستغلال. وقد كتب اثنتي وعشرين قصة وخمس عشرة رواية وأربع مسرحيات غير مقالات نقدية نشرها، وأول رواية نشرها عام ١٩٤٧م، هي رواية "نائب عزرائيل، وفي هذه المقالة ندرس شخصية يوسف السباعي على ضوء المنهج الوصفي- التحليلي وعلى أساس آراء ماسلو، كما ندرس رواية "نائب عزرائيل" ليوسف السباعي، دراسة نفسية معتمدين على هرم ماسلو للحاجات الإنسانية، وذلك لنتعرف من خلال هذا البحث إلى شخصية الكاتب من جهة، ونتعمّق في رواية نائب عزرائيل وشخصياتها ولاسيما بطل الرواية من خلال هرم ماسلو، لنرى كيف تتجلّى الحاجات الإنسانية في هذه الرواية، وحسب مدارج هذا الهرم هل يصل بطل الرواية إلى تحقيق الذات. ومن النتائج التي توصّلنا إليها أنّ شخصية يوسف السباعي يمكن اعتبارها شخصية محققة لذاتها، وأنّ بطل الرواية في رواية نائب عزرائيل يفشل في مرحلة تحقيق الذات، رغم أنّه كان ملمّاً بمعالمها وواقفاً بكلّ زواياها. وبالنسبة للرواية لاحظنا أنّ الحاجات الإنسانية الرئيسة التي أدرجها ماسلو في هرم الحاجات، قد تمّ توظيفها فيها وقد ركز عليها الكاتب في الأغلب من خلال بطل الرواية؛ فوجدنا جميع هذه الحاجات تفرض نفسها على الشخصية حسب الموقف، وهي الحاجات الفسيولوجية، الحاجة إلى الأمن، الحاجة إلى الانتماء والحب، حاجات التقدير، والحاجة إلى تحقيق الذات، إلّا أنّه رغم ظهور الحاجة إلى تحقيق الذات في بطل الرواية، لم يتمكن هذا البطل أن يجتاز مرحلة تحقيق الذات مع أنّه كشف بعض الحقائق كحقيقة الموت وكانت فيه رغبة شديدة في أن تكون القيم العليا سائدة في البلد.

الكلمات الرئيسة

شخصية يوسف السباعي، رواية نائب عزرائيل، النظرية الإنسانية، هرم ماسلو.

---

* الكاتب المسؤول
Email: z.erfatpor@gmail.com

مقدمة

إنّ يوسف السباعي وهو من طليعة الروائيين المصرين لجأ إلى فن الرواية ليفسر به الواقع ويحلله، ويعلو به إلى المثالية المطلقة في الحياة فهو عالج في رواياته وقصصه مشاكل وقضايا البلد وتغلغل في شرايين المجتمع، يصور أبعاده، ويعرض عيوبه ومثالبه ويعالجها.

ومن الجدير بالذكر أن مؤلفاته لها اتجاهات عدة منها اتجاه الواقع والخيال كما نرى ذلك في رواية نائب عزرائيل وأرض النفاق، واتجاه الواقع والحلم في لست وحدك والأرض والفضاء واتجاه ساخر نراه في معظم أعماله القصصية والروائية وخاصه في مسرحياته، واتجاه اجتماعي نجده في مؤلفاته غير القصصية والروائية، واتجاه فلسفي عالج من خلاله قضايا ميتافيزيقية كالموت كما نرى ذلك في رواية السقا مات، واتجاه تاريخي تناول فيه قضايا مثل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأحداث الوحدة بين مصر وسوريا وقضية فلسطين. (يعقوب، لا تا: ١٩- ١٨) وهو كان بمواهبه الأدبية وحسه الفني وشخصيته السوية القوية والناجحة قادراً على تحليل النفس البشرية وملتزماً بالإصلاح الاجتماعي؛ فهو في رواياته يعيش أحداثها بكل أحاسيسه، و«يمزج فيها الوجدان الشفاف بالوعي الصادق.. ويلمس مواطن العفن في مجتمع فاسد بتندر وملاحة فكهة، حتى يستطيع القارئ أن يهضم هذا التسوس، وهذا العفن، وهذا الضياع. (يعقوب، لا تا: ١٠٤)

وفي هذه المقالة ندرس شخصية يوسف السباعي على أساس نظرية ماسلو وندرس رواية نائب عزرائيل دراسة نفسية على أساس هرم ماسلو بأسلوب وصفي — تحليلي حتى نستكشف من خلالها نفسية الكاتب والحاجات الإنسانية التي يؤكد عليها من خلال شخصيات الرواية لا سيما بطل الرواية.

أما الأسئلة التي تطرح نفسها فهي:

١. ما هي ميزات الكاتب نفسيّاً على أساس نظرية ماسلو؟

٢. كيف تتجلى مراتب هرم ماسلو للحاجات الإنسانية في رواية نائب عزرائيل؟

خلفية البحث:

وفيما يتعلّق بخلفية البحث والدراسات المرتبطة برواية نائب عزرائيل فلم نعثر على دراسة ذات اتجاه نفسي، بل هناك دراسات ذات اتجاهات أخرى عن روايات يوسف السباعي ولاسيما رواية نائب عزرائيل، منها:

الرسائل:

- القيم الدينية في رواية نائب عزرائيل ليوسف السباعي، بحث تكميلي مقدم لنيل شهادة الدرجة الأولى (S. Hum) في اللغة العربية وآدابها بجامعة سونن أمبيل الإسلاميّة الحكوميّة سورابايا عام ٢٠١٧ م، إعداد ستي مباركة وبإشراف الدكتور برهان جمال الدين. وقد قدّمت الباحثة دراستها في خمسة فصول وبعد أن تحدثت عن الإطار النظري للبحث ومفهوم القيم الدينية وعرضت نبذة عن حياة يوسف السباعي ورواية نائب عزرائيل، درست أنواع القيم الدينية من شريعة وعقيدة وأخلاق في هذه الرواية. وجدير بالذكر أن البحث يعاني الضعف والركاكة في الكتابة.
- قصة المَلَك في رواية نائب عزرائيل ليوسف السباعي بنظرية ليفي شتراوس، بحث جامعي مقدم لنيل شهادة سرجانا (SI) في اللغة العربية وآدابها بجامعة مالك إبراهيم الإسلاميّة الحكوميّة مالانج عام ٢٠١٧ م، إعداد أحمد ملطوف، وبإشراف محمد فيصل. وقدّم الباحث دراسته في أربعة أبواب، وبعد أن تحدث عن النظرية البنيوية لليفي شتراوس وعرض نبذة عن حياة يوسف السباعي ورواية نائب عزرائيل، درس قصة عزرائيل و"الأنا" في هذه الرواية من خلال نظرية ليفي شتراوس وتوصّل الباحث إلى أن بنية الرواية ارتكزت على شخصية أنا التي تجلت من خلال شخصية نائب عزرائيل في جميع حلقات الرواية وفي عملية نزع الروح. وهذا البحث أيضاً يعاني الضعف والركاكة في الكتابة.
- رواية نائب عزرائيل ليوسف السباعي (دراسة تحليلية سيمائية لشارل سندرس بورس)، مقدم إلى كلية الآداب والعلوم الثقافية بجامعة سونان كاليجاكا الإسلامية الحكومية جوكجاكرتا لتكميل بعض الشروط للحصول على اللقب العالمي في علم اللغة العربية وآدابها، عام ٢٠١٥م، إعداد أئمة المسلمة. وقد قدّمت الباحث دراسته في أربعة أبواب وبعد أن تحدثت عن الإطار النظري للبحث وسيرة حياة يوسف السباعي، درست العلامات في رواية نائب عزرائيل على أساس نظرية بورس التي تعتمد على نظام العلامات الثلاثة أي الممثل والموضوع والمؤول. وهذا البحث أيضاً يعاني الضعف في الكتابة.
- الشخصية الرئيسية (فؤادة) في رواية "الغائب" لنوال السعداوي، دراسة تحليلية سيكولوجية أدبية عند أبراهام ماسلو، إعداد برهان الدين وبإشراف الحاج توفيق الدرديري، مقدم إلى كلية الآداب والعلوم الثقافية بجامعة سونان كاليجاكا الإسلامية الحكومية للحصول على اللقب العالمي في علم اللغة العربية وآدابها، عام ٢٠١٥. والغرض من هذا البحث هو وصف سايكولوجي للشخصية الرئيسية في رواية الغائب للسعداوي على أساس نظرية أبراهام ماسلو. قدّمه الباحث في أربعة أبواب: في الباب الأول تحدّث الباحث عن الإطار النظري للبحث، وفي الباب الثاني تناول حياة السعداوي والعناصر البنيوية لهذه الرواية، وفي الباب الثالث قام بتحليل الأحداث المؤثرة في نفسية فؤادة، كما درس حاجات تحقيق الذات في فؤادة حسب نظرية ماسلو، وفي الباب الرابع قدَم الخاتمة والاقتراحات. وهذه الرسالة أيضاً تعاني الضعف والركاكة في الكتابة.

المقالات:

وهناك مقالات اعتمدت على هرم الحاجات لماسلو في دراسة النص، منها:

- مقالة «بررسي سلسله مراتب نيازهاي مزلو در **گلستان** سعدي» (دراسة مراتب حاجات ماسلو في گلستان سعدي)، إعداد عليرضا نبي لو؛ أحمد آصف، في مجلة متن شناسي ادب فارسي، الدورة الجديدة، العدد ٢، صيف ١٣٩٣ش، صص٤٣-٦٦. وقد استعرض هذا المقال وجوه الاشتراك والاختلاف بين نظرية ماسلو وآراء سعدي حول الحاجات الأساسية للبشر.
- مقالة «تحليل شخصيتهاي اصلي در ده داستان كوتاه صادق هدايت بر مبناي نظريه مزلو» (دراسة الشخصيات الرئيسة في عشرة من القصص القصيرة لصادق هدايت على أساس نظرية ماسلو)، إعداد سعيد حاتمي وفاطمة بركات في مجلة مطالعات ايراني لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة باهنر في كرمان، السنة ١٥، العدد ٢٩، ربيع وصيف ١٣٩٥ش، صص٩١-١١٠ . وقد توصل البحث إلى أن الشخصيات الرئيسة في هذه القصص لا تتمكن من الوصول إلى مرحلة تحقيق الذات بسبب أجواء المجتمع الإيراني في أواخر العهد القاجاري وبدايات العصر البهلوي.

نظرة عابرة على حياة الكاتب

ولد يوسف السباعي عام ١٩١٧م في حيّ السيدة زينب في القاهرة، وكان أبوه محمد السباعي من رواد النهضة الأدبية في مصر. تلقى تعليمه في الابتدائية والثانوية في وتخرج من الكلية العسكرية عام ١٩٣٧م، ومن كلية الضباط عام ١٩٤٤م، ومن معهد الصحافة بجامعة القاهرة عام ١٩٢٥م، وتنقل في مناصب قيادية وصحافية عديدة. زار أكثر البلدان الأوروبية والآسيوية والأفريقية وتم اغتياله في قبرص في ١٧ شباط من عام ١٩٧٨م. (انظر: اليسوعي، ١٩٩٦: ج٢/ ٧٠٤)

لا يمكن لأي أحد أن يشكك في موهبة *يوسف السباعي* الأدبية، ولكن لا يمكن أيضاً ونحن نقرأ سيرته أن نغفل السبب الذي صقل هذه الموهبة في نفسه، فإن حسّه الفني قد نما في سن مبكرة، والفضل في ذلك يعود إلى والده محمد السباعي، إذ إنّه كان له يد في كتابة القصة والشعر والترجمة، وكان يوسف شديد التعلق بوالده وكثير الشغف بالأدب والفنون، وقد توفي والده وهو في الرابعة عشرة من عمره، «مما كان له أثره العميق في نفسية الصبي المتفتح وفي مواجهته مشكلة الموت وتعامله معه بعد ذلك في معظم ما كتب. فكان أثر أبيه عليه في موته لا يقل عن أثره في حياته» (الشاروني، ٢٠٠٣: ٧١).

صدر للسباعي الكثير من المؤلفات الرائعة والتي زخرت بها المكتبات الأدبية، كما زخرت المكتبات السينمائية بقصصه ورواياته البارزة التي تحولّت العديد منها إلى أفلام

ومسلسلات تليفزيونية أو إذاعية شارك فيها أشهر النجوم. «من الروايات نذكر نائب عزرائيل، أرض النفاق، إني راحلة، فديتك يا ليل، البحث عن جسد، بين الأطلال، رد قلبي، طريق العودة، نادية، جفت الدموع، ليل له أخر، نحن لا نزرع الشوك ...، ومن المسرحيات قدّم أقوى من الزمن، أم رتيبة، ومن القصص نذكر بين أبو الريش وجنينة ناميش، يا أمة ضحكت، الشيخ زعرب وآخرون» (محمد، ٢٠٠٨: ٥).

شخصية يوسف السباعي

كان لنشأة يوسف السباعي دور في أن يكون الضاحك في حياته، الساخر بإبداعاته، فنجد أن لطبيعة شخصية محمد السباعي- الأب - كبير الأثر في بناء شخصية السباعي الابن، ويصف يوسف السباعي أباه فيقول: "كان أبي أسطورة بوهيمية"، وهذا ما يتيح ليوسف السباعي الشخصية "المنبسطة"، فتجد النكتة سبيلها إلى قلبه، الابتسامة عريضة على شفتيه، إلى جانب أثر البيئة الشعبية التي عاشها وتشيع النكتة فيها مثل التنفس. (عيسى، ٢٠٠٧: ٥) ومن المدهش أن الموت المفاجئ الذي اختطف والده لم يستطع أن يسلب منه روح الفكاهة والدعابة فنراه يداعب الموت في كتاباته.

في الواقع اتخذ يوسف السباعي في أعماله الأدبية الاتجاه الساخر متجهاً نحو الايجابية ومثيراً لحركة ذهنية تدعو في النهاية إلى اتخاذ موقف إيجابي إزاء المشكلة التي يطرحها العمل الأدبية؛ حيث كانت شخصيته تعينه على الإبداع الذي يعتمد على الموقف الساخر أو الكتابة الساخرة، ولذلك نجده ثائراً على الموت وساخراً منه أيضاً، كما أنّه كان يعمل بكل طاقته في سبيل تحقيق أهدافه وهذا ما يؤكد على أنّ شخصيته كانت شخصية قويّة وحسب آراء ماسلو يمكن أن نعتبره شخصية محققة لذاتها؛ حيث تتواجد فيه سمات وأبعاد يراها ماسلو في "الشخصية المحققة لذاتها" ويطرحها في خمس عشرة سمات (انظر: عبدالرحمن، ١٩٩٨: ٤٤٢-٤٤٧) نلاحظ بوضوح أربع عشرة منها في شخصية يوسف السباعي وهي:

١. الدقة منقطعة النظير في فهم الواقع. فنراه في حياته الأدبية ومناصبه القيادية دقيقاً في فهم الواقع والحكم على الناس والأحداث الجارية والأفكار والاتجاهات المستقبلية بمقدرة أكبر.

٢. إنّه أكثر تقبلاً للذات وللآخرين؛ حيث كان أكثر احتمالاً لزلات الإنسان وأقل رغبة في إصدار الأحكام على ذاتهم وعلى الآخرين.

٣. إنّه أكثر تلقائية ومعرفة بالذات؛ حيث كان يتصرف بشكل تلقائي ويدرك جيداً دوافعه وعواطفه وقدراته واختياراته.

٤. إنّه أكثر تركيزاً على المشاكل؛ فهو كان يهتم اهتماماً كبيراً بالمشاكل الخارجية ويكرس جهده لحلها كما يحاول تحقيق أهدافه الشخصية على قدر إمكاناته البشرية.

٥. إنّه أكثر حاجة إلى الخصوصية؛ إذ كان فهو يميل إلى الانعزالية الصحية بسبب اعتماده على مشاعره وقيمه الخاصة الناتجة عن قلة حاجته لتأكيد آراء الآخرين.

٦. إنّه أكثر استقلالية ومقاومة للغزو الثقافي. فهو كان عادة ما يظهر استقلالاً عن البيئة والآخرين من حوله وليس لديه حاجة للسيطرة على الآخرين حباً لنفسه أو خوفاً من الاحباط.

٧. لديه إقبال أكبر على تجديد إعجابه وإثرائه للاستجابات العاطفية؛ فهو كان يعيش حياة أكثر ثراء وعاطفة لأنه يستمتع دائماً بما يحققه.

٨. يتكرر لديه أعظم مستوى من الخبرات والتجارب. يمكن ملاحظة هذه الميزة في يوسف السباعي من خلال خبراته في أنواع الكتابة من الرواية إلى المسرحية ومن خلال المناصب المتنوعة التي تولاها في حياته.

٩. الاهتمام الاجتماعي المبالغ فيه. فكان يرصد الواقع الاجتماعي بكل أبعادها، و«جاء كتابه الشامل "مصر المشكلة والحل" صورة صادقة لما يعانيه الحاكم والمحكوم والشعب، وما يمكن أن تصل إليه مصر بحلول جذرية بالتعرف إلى أسباب المعوقات والسلبيات التي تعوق تقدمنا الاجتماعي، وفي هذا ما يؤكد تفاعل هذا الأديب مع بيئته وأهله وبلده، وشرح كل القضايا المصيرية شرحاً مبسطاً، وقدّم لها الحل الممكن تنفيذه» (يعقوب، لا تا: ٨٩-٩٠).

١٠. يكوّن علاقات شخصية عميقة مع من يحبه، كما نرى ذلك في علاقاته مع والده.

١١. لديه خصائص تكوينية أكثر ديمقراطية. فهو كان يصادق الناس من كل الطبقات وغالباً ما نجده يقاوم القسوة والظلم والاستغلال. كما نراه في رواية نائب عزرائيل عندما ينتقد الوطنية أو على الأصح روح التعصب الوطني التي تقود أفراد البشر إلى إشعال حروب بشعة؛ يقول: «الوطنية بهذا المعني هي الأنانية بأسوء معانيها وأبشع مظاهرها، فهي أنانية أمة، وهي أن تشعر مجموعة من الناس بأنّهم خير من غيرهم، وأنّهم يجب أن يكون لهم السبق في الحياة وفي رفاهيتها وفي متعاتها..» (السباعي، لا تا: ٤٦).

١٢. أكثر تمييزاً بين الخير والشر وبين الوسائل والغايات؛ إذ نجده يتمتع بمعايير أدبية وأخلاقية قوية.

١٣. لديه إحساس غير عادي بالدعابة. فهو لديه روح زاخرة بالدعابة ونرى هذه الدعابة باتت عنصراً مهماً يحضر في أغلب كتاباته.

١٤. أكثر ابتكارية. فهو كثير الإبداع في حياته الأدبية في قصصه ورواياته ومسرحياته.

النظرية الإنسانية

عرف المنهج النفسي في مطلع القرن العشرين مع تأسيس علم النفس التحليلي على يد "فرويد" وصدور دراساته عن الحلم واللاشعور وعن الفنانين والكتاب وعن الظواهر الأدبية والمؤلفات المتميزة. يقول فرويد في هذا المجال: «بعد استكشاف الأحلام، انطلقنا إلى تحليل الإبداعات الشعرية أولاً، ثم الشعراء والفنانين بعد ذلك» (فرويد، ١٩٧١: ١١١-١١٢؛ نقلاً عن نويل، ١٩٩٧: ١٣). ثم واصل دراسات فرويد عدد من علماء النفس منهم يونج واستغل علم النفس في دراسة الفن ليوضح رأيه في طبيعة العمل الفني والعوامل التي تجعل الإنسان مبدعاً، وقد توصل بعد دراسة أعمال عدد من المبدعين الكبار إلى «أنّ الأعمال العظيمة تنبع مما سماه باللاشعور الجمعي .. وعلى هذا فالفنان في نظر يونج ليس إلاّ أداة في يد قوة لاشعورية هي اللاشعور الجمعي» (قطوس، ٢٠٠٤: ٢١) ثم يؤسس الفرد أدلر أحد طلاب فرويد المقربين مدرسة تسمى بـ"علم النفس الفردي" (فرويد، ١٩٨٢: ٦٨) وأساس مذهبه «يقوم على الدونية العضوية الموضوعية أو الشعور الذاتي بهذه الدونية (فرويد، ١٩٨٢: ٧٤)، وهو ينسب النبوغ إلى الإحساس بالنقص، ويرى أن النقص الجسدي ـ بالذات ـ هو الذي يحرك القوى النفسية لتعويض النقص البشري، وهذه القوى هي التي تؤدي إلى كمال تطور الفرد، وظهور نشاطه الإبداعي.

والجدير بالانتباه أن مفهوم الدوافع هي من أهم المفاهيم التي يتناولها علم النفس؛ فالدوافع هي قوى داخلية جسمية أو نفسية تحث الإنسان على القيام بسلوك معين في ظروف معينة، بعبارة أخرى هي «المحركات الرئيسة للسلوك الإنساني، ومن خلال دراستها نستطيع فهم ذلك السلوك والتنبؤ به في مجالات الحياة وضبطه في مجالات الحياة المختلفة» (إنصورة، ٢٠١٥: ١٤٥). وهناك كثير من علماء النفس قد تناولوا موضوع الدوافع تحت تسميات مرادفة أو مشابهة لها؛ «فقد تناوله العالم مكدوجل مؤسس المدرسة الفرضية تحت تسمية الغرائز كما تناوله العالم ماسلو[١] صاحب سلم هرم الحاجات تحت تسمية الحاجات»

---

١. أبرهام ماسلو (Abraham Maslow) (١٩٠٨-١٩٧٠) «عالم نفس أمريكي ولد في بروكلين نيويورك أبواه يهود من روسيا. اشتهر بنظرية تدرج الحاجات، درس القانون في كلية مدينة نيويورك ثم انتقل إلى جامعة ويسكونسن فحصل على البكالوريوس عام ١٩٣٠م، ثم الماجستير ١٩٣١، ثم الدكتوراه عام ١٩٣٤م، وكلها في الطب النفسي من جامعة ويسكونسن» (أبو أسعد؛ ختاتنة؛ البكور، ٢٠١١: ٧٩).

(إنصورة، ٢٠١٥: ١٤٨). وهو قدّم النظرية الإنسانية في الدافعية التي ترتكز على هرم الحاجات، وهو «هرم متدرج أساسه الحاجات الفيسيولوجية الأساسية، وقمته إلى تحقيق الذات، فأقوى الحاجات هي الحاجات الفسيولوجية ولا يسعى إلى حاجات الحب والانتماء مثلاً إلاّ بعد الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمن والسلامة» (إنصورة، ٢٠١٥: ١٦٤).

الترتيب الهرمي للحاجات الإنسانية

الحاجات الإنسانية الأساسية تشتمل على ما يلي: (إنصورة، ٢٠١٥: ١٦٤-١٦٥)

١. الحاجات الفسيولوجية: مثل الهواء، الطعام، الشراب، المأوى والجنس، وكل الحاجات التي تخدم بقاء الإنسان مباشرة.

٢. الحاجة إلى الأمن: «تشمل الأمان المادي والأمان المعنوي، مثل الحاجة إلى الإحساس بالنظام والحماية والاعتماد على مصدر مشبع للحاجات وعدم إشباع مثل هذه الحاجات يظهر في شكل مخاوف مثل الخوف من المجهول أو الخوف من فقدان التحكم في الظروف المحيطة» (عويضة، ١٩٩٦: ٢١٥).

٣. الحاجة إلى الانتماء والحب: وهي التي تدفعنا إلى إقامة علاقات ودية متبادلة وأن نصبح أعضاء في جماعة. يفرق ماسلو بين مستويين لهذه الحاجة: أ) «المستوى الأدنى أو مستوى الحب الناشئ عن النقص، وفيه يبحث الإنسان عن صحبة أو علاقة تخلَصه من توتر الوحدة وتساهم في إشباع حاجاته الأساسية الأخرى كالجنس مثلاً. ب) المستوى الأعلى أو مستوى الكينونة: وفيه يقيم الإنسان علاقة خالصة مع آخر كشخص مستقل، كوجود آخر يحبه لذاته دون رغبة في استعماله أو تغيير لصالح احتياجاته هو» (عويضة، ١٩٩٦: ٢١٦).

٤. حاجات التقدير: وهي التي تدفعنا إلى تكوين فكرة طيبة عن أنفسنا والتمسك بها وإقناع الآخرين بأحقيتنا في تقديرهم واحترامهم. وهذا النوع من الحاجات كما يراه ماسلو له جانبان: «أ) جانب متعلق باحترام النفس أو الإحساس الداخلي بالقيمة الذاتية. ب) والآخر متعلق بالحاجة إلى اكتساب الاحترام والتقدير من الخارج» (عويضة، ١٩٩٦: ٢١٥).

٥. حاجات تحقيق الذات: «تحت عنوان تحقيق الذات يصف ماسلو مجموعة من الحاجات أو الدوافع العليا التي لا يصل إليها الإنسان إلاّ بعد تحقيق إشباع كاف لما يسبقها من الحاجات الدنيا، وتحقيق الذات هنا يشير إلى حاجة الإنسان إلى استخدام كل قدراته وتحقيق كل إمكاناته الكامنة تنميتها إلى أقصى مدى يمكن أن تصل إليه، وهذا التحقيق لا

يجب أن يفهم في حدود الحاجة إلى تحقيق أقصى قدرة أو مهارة أو نجاح بالمعنى الشخصي المحدود، وإنّما هو يشمل تحقيق حاجة الذات إلى السعي نحو قيم وغايات عليا مثل الكشف عن الحقيقة، وخلق الجمال، وتحقيق النظام، وتأكيد العدل» (أبو أسعد؛ الختاتنة؛ البكور، ٢٠١١: ٨٢). وهو يعتقد أنّ ظهور بعض هذه الحاجات يتحقق عندما تشبع بعضها الآخر، و«أنّ الحاجة التي لم تشبع، تؤثر في الفرد وسلوك بدرجة تجعل نظرته إلى الحياة مختلفة، وتؤثر تأثيراً بالغاً في إدراكه ومن ثم في سلوكه» (أبو أسعد؛ الختاتنة؛ البكور، ٢٠١١: ٨٢).

هرم ماسلو للحاجات الإنسانية

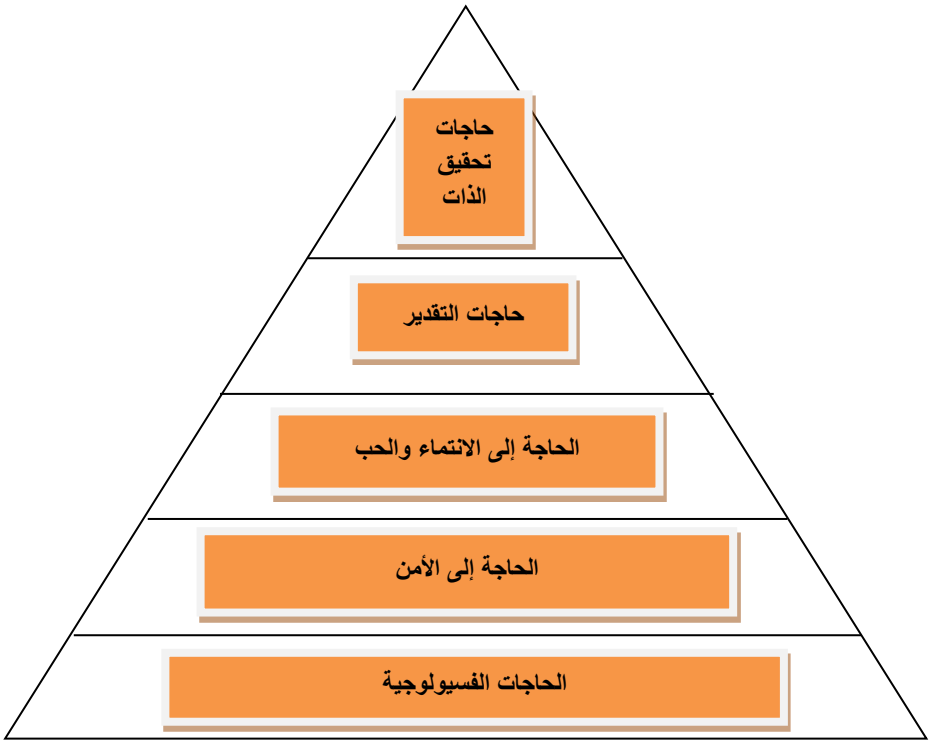

خلاصة الرواية

تبدأ الرواية برسالة خاصة يكتبها الكاتب يوسف السباعي إلى عزرائيل ويخبره أنه أخطأ في قبض روحه بسبب تشابه اسمه مع اسم الشخص الذي كان من المفترض أن يموت بدلاً منه. ويرى نفسه في مكان ضيق وملئ بالناس والجوّ خانق حارّ وفي الحقيقة هو مات وانتقل خطأ

إلى الآخرة؛ لأنّ اسمه ليس في الكشف الذي عند عزرائيل، بل شبيه باسم آخر. يريد عزرائيل أن يعيده إلى الدنيا ولكن هذا أمر صعب وأيضاً يخالف الرجل على هذا القرار؛ لأنّه يعتقد أنّ الدنيا ليست فيها إلّا المشاكل والظلم والعيشة الصعبة وأيضاً الانتقال إلى الآخرة بسيط وسهل جداً ولكن لا يدركه الناس وهو في الحقيقة أسهل من انتقال عن دارٍ إلى دارٍ آخر في الدنيا (أنظر: السباعي: لا تا: ٩-١٠).

وبعد أن يطلع البطل على الكثير من شؤون الدار الآخرة ويكتشف سهولة الموت، بل ومتعته في التحرر من الدار الفانية والانطلاق إلى حيث لا يوجد مرض ولا قلق ولا خوف من أي شيء، يرى عزرائيل أنّه أصبح خطراً ولا يمكن إعادته إلى الحياة .. فيتفق معه على أن يقوم نيابة عنه ببعض مهامه في قبض الأرواح، لكنّ البطل يخالف تعليمات عزرائيل ولا يتقيد بقائمة الأسماء والعناوين المعطاة له، فيضبطه عزرائيل متلبساً بمخالفة أوامره ويقرر إعادة روحه إلى جسده في القبر، لكنّه يصاب بالفزع لأنّه سيعود إلى حالة الأسر» (الشاروني، ٢٠٠٣: ٧٨- ٧٧)، وبعد مناقشة طويلة دارت بينه وبين عزرائيل قرّر أن يعود نائب عزرائيل إلى الدنيا ليعيش يومين فيها ويغيث االملهوف ويواسي الحزين، وبعد الموعد المقرر قبض عزرائيل روحَه ولقاه راضيا مغتبطاً؛ فترك جسده في قبره الموحش وصعد معه إلى السماء. وفي القسم الثاني من الرواية الذي يحمل عنوان "البحث عن جسد" يخيّر عزرائيل نائبه بأن يعود إلى الدنيا أو يبقى في الآخرة، ووافق نائب عزرائيل أن يهبط إلى الأرض ويحل في جسد وليَ عهد، ثم نزل إلى الأرض وبعد أن توفي والده الملك، أصبح زعيماً يفرط في التمتع بالدنيا ويهمل شعبه، فعاد إليه عزرائيل بعد ثلاثين سنة وكانت الجماهير الثائرة خارج القصر تهتف ضد الملك، فيطلب الملك من عزرائيل أن يقبض بعض الأرواح غير الموالية للعرش ليريحه منهم من أعضاء البرلمان إلى الشيوعيين وطلبة الجامعة، وفجأة يدخل الثوار إلى الصالة وتنطلق رصاصة فتصيب جسد الملك ويقع صريعاً ويعود مع عزرائيل إلى الدار الآخرة، وتنتهي الفنتازيا[١] بصعوده إلى السماء مرة أخرى.

---

١. أطلق النقاد على هذا الاتجاه، اسم الفنتازيا، «وهو اتجاه يحطم الفواصل بين الواقع والخيال ليسمح للأبطال بحرية الحركة في الزمان والمكان بأسلوب ينزع إلى السخرية والدهشة، وهو وسيلة ذكية للنقد الاجتماعي والسياسي» (الهواري، ٢٠١٨: ٣٩٨).

دراسة الرواية

١- الحاجات الفسيولوجية[1]:

أ) الحاجة إلى مأوى:

كما ذكرنا مسبقاً أنّ أوّل الحاجات الإنسانية التي تقبع في قاعدة هرم ماسلو، هي الحاجات الفسيولوجية التي لا يستطيع أن يعيش بدونها الإنسان ومن هذه الحاجات الحاجة إلى مأوى، وفي بداية هذه الرواية نلاحظ أن الكاتب يسلّط الضوء على الحاجة إلى مأوى من خلال ما يقوله بطل الرواية ـ بعد انتقاله إلى دار الآخرة ـ عن صعوبة الحصول على السكن في الدنيا وتكاليف الانتقال من دار إلى دار: «وكنت قد رحلت من الدار الأولى إلى الدار الآخرة، وكان الانتقال سهلاً بسيطاً، أسهل مما يتصور المرء، بل هو أسهل انتقال ممكن حدوثه، فهو على الأقل أسهل بكثير من انتقال الانسان من دار إلى دار في الدنيا، وخاصة في هذه الأيام التي أضحى حصول الانسان على دار خالية أصعب من حصوله على الاخلاص والمودة بين أهل الأرض، فما احتاج الانتقال الى خلو رجل أو كتابة كنتراتو، أو تنظيف الدار الجديدة، ودفع ثمن ما تلف من الدار القديمة، ثم تأجير عربات لحمل العفش، و... ونقل عدّاد الكهرباء الخ» (السباعي، لا تا: ٩)، كما يقول: «نعم رحلت بمفردي لا شيء يثقل كاهلي أو ينقض ظهري، لقد أحسست أنني قد نضوت سربالي الصفيق، وفررت من سجني السفلى، وأنني قد أخذت في السمو شاعراً بخفة عجيبة، حرّاً طليقاً لا يقيدني قيد ولا يشدني وثاق، روحاً خفيفة بلا جسد يثقلها تسري كالنسيم وتنفذ خلال كل شيء، بلا حاجة إلى مطية، أو مرتقى» (السباعي، لا تا: ١٠).

ب) الحاجة إلى الأكل والشرب:

ومن أهم الحاجات الفسيولوجية التي يذكرها ماسلو هي الأكل والشرب، وهذه الحاجة يسلّط الكاتب الضوء عليها في عدّة مشاهد من الرواية؛ ففي الفصل الثالث من الرواية عندما يفارق عزرائيل بطل الرواية ليذهب إلى موعده مع إحدى الملائكة، ويراود بطل الرواية أمل اللقاء بإحدى حوريات الجنة، نرى أن بطل الرواية يتمنى أيضاً أن يتمتع بنعم الجنة فيقول: «أو من يدري قد يراني السيد رضوان الهمام حارس الجنة، فيدعوني إلى

1. Physiological Needs

تناول فنجان من القهوة، أو كأس من الخمر التي تفيض بها أنهارهم» (السباعي، لا تا: ٣٠). ثم يقول حتى لو فشلت في الحصول على هذه النعم.. «فلن أعدم حجراً خارج الأسوار [أسوار الجنة] أقذف به أشجار النخيل والأعناب فأصيب شيئاً من التمر والعنب، ولا أظن أن السيد رضوان سيكون من الهيافة بحيث يعدو ورائي كبقية البوابين، فما أظن النخيل والأعناب ذات قيمة لديهم» (السباعي، لا تا: ٣١).

والجدير بالذكر أنّ الحاجة حاجة الأكل في هذه الرواية تتبدل إلى نهم وشراهة في بطل الرواية، كما نرى هذه الحالة أي الولع بالطعام في السيد كيراشو الذي كان البطل ـ بعد أن أصبح نائب عزرائيل ـ يريد إنقاذه من أن يميت نفسه بالتخمة إثر الإفراط في الأكل في وليمة أقامها للضيوف؛ لأنّه كما جاء في الكشف الذي بيده أسماء الذين يجب قبض أرواحهم، أنّ علّة موته شدة الإفراط في أكل الطعام. يقول بطل الرواية واصفاً أجواء الوليمة التي حفلت مائدتها بالأصناف الشهية من الطعام: «شمّر قائد المائدة عن ساعد الجد، ورفع أكمام قفطانه الواسعة حتى المرفقين، وبدا عليه كأنّه يوشك أن يخوض غمار معركة الوطيس، وبدأت المعمعة بأن مدّ الرجل يده إلى فخذ ضأن لامع متورد قد علا قارباً من الأرز المخلوط بالزبيب والصنوبر، وهبطت في التوّ إلى أول جسد يجلس بجواره، ولم يكد يستقر بي المقام حتى مددت يدي وخطفت فخذ الضأن من يد الرجل، وأسرعت بوضعه بين فكي قائلاً: إني أحب الضأن» (السباعي، لا تا: ٨٧). ثم يؤكد بطل الرواية على نهمه وشراهته في الدنيا حيث يقول: «وهنا يجب علي أن اعترف أني لم أكن قط حكيماً عندما حاولت أن اتبع ذلك المسلك الذي اتبعته في إنقاذ الرجل، لأنّي ما كدت أحلّ في الجسد وأدفع أسناني في قطعة اللحم، حتى شعرت بإرادتي تضعف وعاودتني عادتي القديمة وهي الشراهة التي كانت تلازمني في حياتي كلما جلست إلى مائدة طعام في وليمة من الولائم» (السباعي، لا تا: ٨٨- ٨٧) ومن خلال هذا يتذكر أيام حياته مع صديقه الذي كان مثله ولعاً بالطعام. (أنظر: السباعي، لا تا: ٩١-٩٢). كما يصف شدة نهمه في مكان آخر: «لقد كنت لا آكل حتى أجوع، وأنا سريع الجوع جداً، بل أنّني في الواقع دائم الجوع؛ لأنّني إذا أكلت ليس لأنني أكفّ عن الطعام قبل أن أشبع، بل لأنّني لا أشبع مهما أكلت» (السباعي، لا تا: ٨٨) والجدير بالذكر أنّ الكاتب قد خصص حوالي عشر صفحات من الرواية ليصوّر حالة النهم التي كانت تلازمه وصديقه في الدنيا.

كما لاحظنا أنّ الحاجة إلى الأكل في هذه الرواية تبدّلت إلى حالة مرضية حيث يكون بطل الرواية وصديقه في الدنيا والسيد كيراشو مصابين بالنهم والشراهة. والأسوء من كلّ

ذلك أنّ السيد كيراشو يموت بالتخمة عقب الإفراط في الأكل. وبطل الرواية أيضاً ذو إرادة ضعيفة إزاء الطعام ولايصل إلى حد الإشباع مهما أكل.

وجدير بالانتباه أنّ إشباع حاجة الأكل لا يؤدي إلى اجتياز هذه الحاجة إلى حاجة الأمن (الاحتراز من خطر التخمة أو خطر الموت)، بل الإفراط في إشباع هذه الحاجة يصل إلى حد النهم والشراهة وهي حالة مرضية لا يشير إليها ماسلو، وهذا ممّا يؤخذ عليه حيث لا يعيّن كيف نقيس «كميّة الإشباع التي يجب أن يتحقق في مستوى معين حتى تصبح الحاجة التي تقع في المستوى الأعلى منها، بارزة وتطلب الإشباع هي الأخرى» (عبد الرحمن، ١٩٩٨: ٤٥٧).

ج) الحاجة الجنسية:

تتجلّى هذه الحاجة في مشاهد عديدة من الرواية حيث نرى بطل الرواية يريد أن يعوّض في الآخرة عن الكبت الجنسي الذي كان يعانيه في الحياة؛ فنرى في بداية الرواية إنّه يناقش عزرائيل في موضوع الموت ويبقى عزرائيل متحيراً لا يستطيع أن يعيده إلى الحياة حيث أصبح مخلوقاً خطراً بسبب تجربته الموت وفهم حقيقته، ولا يستطيع أن يعيده إلى الآخرة لأنّه كان قد أخطأ في قبض روحه ولم يأت دوره بعد، فتخطر له فكرة عجيبة وهي أن يطلب من عزرائيل أن يوفّر له إمكانيات تلبي حاجاته الفسيولوجية من الحاجة الجنسية إلى حاجات الأكل والشرب حيث يقول: «وخطر لي خاطر عجيب، لو أمكن للسيد عزرائيل أن يحضر لي بعضاً من حوريات السماء، أو على الأقل بعضاً من حوريات الأرض، فقد يكون في استطاعتي أن أمكث كما يريدني معلقاً بين السماء والأرض دون أن أخشى الملل، ودون أن أحاول إزعاجه أو فضحه حتى يحين دوري للصعود إلى السماء. وراقت لي الفكرة وطربت لها وتخيلت نفسي أو مخلوق يعيش بين السماء والأرض وبين الدنيا والآخرة تحوطني الحور العين الفاتنات الساحرات يسهرن على خدمتي، كأنّني هارون الرشيد» (السباعي، لا تا: ٢٠).

وفي الفصل الخامس (أنظر: السباعي، لا تا: ٥١-٦٩) يخصّص الكاتب ثماني عشرة صفحة لتصوير الرغبات الجنسية في بطل الرواية، وذلك عندما حان موعد قبض روح الآنسة الغريقة؛ فنرى أن الفتاة تندفع إلى مياه البحر وقد ركبت قارباً صغيراً وقد سبقها إلى البحر فتى كان يبادلها النظرات، وابتعدا عن شاطئ البحر وفجأة علت موجة من أمواج البحر فقلبت القارب ودفعته بعيداً، فإذا بالفتى والفتاة يغالبان الموج، وقد ضعفت قوى الفتاة

وحاول الفتى إنقاذها دون جدوى فيشير نائب عزرائيل بعصاه إشارة خفيفة فغادرت روحه الجسد، وحلَ في جسده وتقدم نحو الفتاة مندفعاً بين الأمواج وأنقذها من الغرق، وهنا كان يجب عليه أن يعيد روح الفتى إلى جسمه ولكن تلح عليه رغبة شديدة في الجلوس إلى الفتاة واحتوائها بين ذراعيه. وهكذا يصف الراوي مشاهد ممّا جري بينه وبين تلك الفتاة بعد أن جلس معها على الصخرة بعد إنقاذها.

كما نرى أنّ الكاتب يؤكد على أهمية إشباع الرغبات الجنسية من خلال ذكريات نائب عزرائيل عن الدنيا عندما كان يرافق صديقه في شاطئ البحر وتنبعث فيهما حاجة جنسية فور أن أبصرا فتيات جميلات متكئات على رمال الشاطئ.

٢- الحاجة إلى الأمن[1]:

تشير هذه الحاجات إلى رغبة الفرد في العيش بسلام وطمأنينة بعيدا عن أعراض القلق والاضطراب والخوف، ومع حاجته الدائمة للحماية من الأخطار الجسمية والصحية والبدنية، حيث يشعر الفرد بقدر من الاطمئنان، ولا يتوقف الأمن عند الحدود المادية فحسب بل حتى الأمن النفسي والعلائقي من خلال علاقات متزنة مع الأفراد. (حمادات، ٢٠٠٨: ١٣)

أمّا يوسف السباعي في هذه الرواية فيهتم بحاجات الأمان من خلال تأكيده على غياب الأمان الاقتصادي في مجتمعه الذي تخلَى أهله عن القيم المعنوية ويلهث كل منهم وراء مصالحه الشخصية؛ حيث يقول بطل الرواية: «.. يا لهذا البلد من شيوخه ونوابه وكتّابه، يا لهذا البلد من كل اولئك المرتزقة الذين بيدهم أمره. في العصور الوسطى التي كان كثير من الجيوش المحاربة يتكوّن مما يسمّونهم "الجنود المرتزقة "، وهم جنود يحاربون من أجل الرزق ومن أجل أكل العيش فالقتال عندهم مهنة وحرفة، لا يهمهم الغرض الذي يحاربون من أجله، ولكن يهمّهم الأجر الذي يدفع لهم، وليس لهم من أنفسهم دافع للانتصار من أجل وطناً ومبدأ... ويخيّل إليّ أن من بيده الأمر في هذا البلد المسكين يشبهون إلى حد كبير أولئك الجنود المرتزقة، وأنّ عملهم لا يعدو في حقيقته عن أن يكون أكل عيش، وأنّ كل مطلبهم هو الغنائم من مختلف الأنواع والأشكال، من مال وشرة وسلطان وجاه. (السباعي، لا تا: ٧١ -٧٢) ومن ثمّ يؤكد على أهمية إشباع حاجات الأمن الاقتصادي في طبقة المثقفين من

1. Safety Needs

خلال ما يقوله عن الكاتب الذي ينقد هؤلاء المرتزقة حيث يقول: «حتى هذا الكاتب الذي تفيض مقالته بالنقد لهم وبالسخرية منهم، لا يهمه من مقاله إلّا أجر المقالة، أو كلمات الاعجاب والتهنئة بعبقريته ولوذعيته.

فهكذا يسلّط الكاتب الضوء على أهمية تأمين حاجات الأمان من خلال القلق الذي يعيشه الناس بسبب غياب الأمان الاقتصادي في البلد.

٣- الحاجة إلى الانتماء والحب[1]:

نرى في هذه الرواية أنّ الروائي يولي اهتماماً بحاجات الحب والانتماء في روايته ممّا يبالغ في هذا الأمر ويؤكد عليها من خلال حاجات الحب التي يصوّرها لنا من خلال عزرائيل العاشق في الفصل الثالث حيث يقول عزرائيل: له موعد غرام مع إحدى الملائكة ويقول لبطل الرواية: «رويدك يا سيدي رويدك، أنني ما قصدت أن أثيرك أو أغضبك، فاعذرني إن بدا منّي بعض السخط والتبرم، إنّني لديّ موعداً هاماً، ولا أدري ماذا أفعل الآن» (السباعي، لا تا: ٢٧). وعندما اندهش بطل الرواية من لين الحب في نفس عزرائيل الذي يتسم عمله بالقسوة، يركز الكاتب على أهمية إشباع حاجات الحب وضرورة حضور الحب في الحياة من خلال ما يقوله عزرائيل في الرد على رأي بطل الرواية: « لشدّ ما أخطأت في ظنك، ليست هناك صلة بين العمل والحب، الحب شيء لا بد منه لكل كائن حي، إنّه كالهواء الذي نتنفسه، ولابدّ من الحب مادامت الحياة، وليس في هذا الكون من لا يشعر بالحب ولا يحتاج له، إلا الجماد (السباعي، لا تا: ٢٩- ٢٨) ثم يؤكد عزرائيل على حاجة الحب في نفسه قائلاً: «آه يا سيدي لو رأيت قطبي الآخر إن جاذبيته لا تقاوم حتى لقد أحسست بنفسي أندفع إليه اندفاعاً عنيفاً، كأنّني قنبلة صاروخية» (السباعي، لا تا: ٢٩) وبعد ذلك يركز الكاتب على اهتمامه بالحب وضرورة إشباع حاجة الحب من خلال الحوار الداخلي الذي يدور في ذهن بطل الرواية حيث يقول: «يا لعزرائيل العاشق الولهان! لقد أحسست ما به من فرط الوله والصبابة، وبدأت التمس له العذر في ذلك الضيق والتبرم الذي أصابه عندما تذكر الموعد، وشعرت أنّي عبء يثقل كاهله، وحمل ينقض ظهره، وعزمت على ألا أكون عقبة في سبيله بأية حال، أجل، ما كنت بالذي يقف في سبيل العشاق، وأنا مدمن العشق، محترف الهوى. (السباعي، لا تا: ٢٩)

1. Belongingness & Love Needs

فهكذا يؤكد الكاتب من خلال ما يقوله بطل الرواية على أهميته بالحب واحترامه شعور العشاق حيث لا يريد أن يكون عقبة في سبيل عزرائيل العاشق، بل يعبّر عن استعداده للقيام بأعمال عزرائيل بدلاً عنه، وفور أن رأى عزرائيل رغبة بطل الرواية في مساعدته، بدا وجهه متهللاً يفيض بالبشر ويخرج من عباءته عصا صغيرة ومن جيبه ورقة مطوية فيها بيان بالأرواح المطلوب ويحضرها إلى عزرائيل» (السباعي، لا تا: ٣٣). كما نستشفَ من الحوار الذي جرى بين عزرائيل وبطل الرواية، أنّ حاجة الحب عندما لا يتمّ إشباعها، تلح على صاحبها إلحاحاً حتى يسعى في إشباعها ولو اضطر أن يتخلى عن إنجاز المهام الرئيسة التي يتولّاها. كما ذكرنا مسبقاً تتضمن حاجات التقدير جانبين: وهما حاجات التقدير التي تتضمن الرغبة في الانجاز والكفاءة والثقة بالنفس والجانب الثاني التقدير من جانب الآخرين. ونرى في هذه الرواية الجانب الأول من هذه الحاجة في الفصل الرابع من الرواية بعد أن يصبح بطل الرواية نائب عزرائيل، فنجده واقفاً يفكر برهة يهز العصا في يده وكأنّه ماريشال في ساحة القتال، فيقول: «شعرت بالكبرياء تملأ نفسي فقد بدأتُ أحس بعدي المسؤولية الملقاة على عاتقي، إنّي لم أعد مجرد إنسان، أو روح إنسان، لقد أصبحت نائب عزرائيل، أو على الأصح عزرائيل نفسه مادمتُ أملك هذه العصا التي أستطيع أن أشير بها إلى الأرواح فتغادر أجسادها مطيعة صاغرة، أجل، لقد أضحت أرواح البشر كلّها في يدي» (السباعي، لا تا: ٣٩).

وفي بداية الرواية في المشهد الذي يتم الحوار بين عزرائيل وبطل الرواية حول إعادته إلى الدنيا نجد الجانب الأول والثاني من حاجات التقدير؛ حيث نرى عزرائيل بات متحيراً كيف يعيد بطل الرواية إلى الحياة بعد أن أخطأ في قبض روحه ويحضر الرجل الآخر «وكان صوته مليئاً بالرجاء، ونظراته تستثير العطف» (السباعي، لا تا: ١٣)، ولكن بطل الرواية كان يبدي رغبته في الدخول معه في الدار الآخرة، وفي هذه الحالة يشعر بطل الرواية أنّ عزرائيل ذلك الجبار قد وقع في يده ويحس بالكبرياء، فيقول: «وأحسست بالكبرياء تملأ نفسي، ولم أشعر أني أتمني شيئاً قدر أن يراني أهل الأرض في هذا الموقف، وعزرائيل المخيف الذي لا يرحم، يرجوني العودة إلى الحياة وأنا أتأبي وأتمتع» (السباعي، لا تا: ١٣).

٤- الحاجة إلى تحقيق الذات[1]:

كما أشرنا مسبقاً أنّ الحاجة إلى تحقيق الذات تمثل قمة هرم الحاجات وتتضمن استخدام كلّ ما يمتلكه الفرد من طاقات ومواهب والبحث عن القيم العليا والكشف عن الحقيقة وخلق الجمال وتحقيق النظام وتأكيد العدل.

في الفصل الثاني من الرواية عندما سرى بطل الرواية مع عزرائيل هابطين إلى السحب، نرى أن بطل الرواية يعبّر عن كشفه لحقيقة الموت حيث يقول لعزرائيل: «يثير دهشتي ذلك التناقض العجيب بين حقيقة الموت وبين ما يتصوره الإنسان فيه، أتدري أن أكبر كارثة يمكن أن يبتلى بها المرء في حياته هي الموت» (السباعي، لا تا: ١٧) ويظل يتحدث عن مدى كره الإنسان للموت وخوفه منه. ثم يشير إلى الحقيقة التي اكتشفها عن الموت قائلاً: «ترى ما الحكمة يا سيدي، لم يخدع الإنسان في الموت فلا يفهمه على حقيقته، لم لا يعرف أنه عملية هينة لينة وأنه انطلاق من سجن الحياة وتحرر من قيود الجسد، لم لا يدرك مبلغ ما فيه من حلاوة ومتعة فلا يعود بفزع منه ويجزع، ولا يعود يلطم الخدود ويشق الثياب ويملأ الدنيا صياحاً وعويلاً، كلما زار له الموت قريباً أو حبيباً، لم لا يدرك أن الموت ليس من البشاعة بحيث يستحق منه هذا البغض وهذا النفور» (السباعي، لا تا: ١٩).

أما تحقيق النظام فنراه في الرواية عندما أصبح بطل الرواية نائب عزرائيل حيث يقول: «هنا خطر بي خاطر عجيب، لقد كنت فيما مضى أعجب لتلك الطريقة التي يسير عليها الموت، وأرى كثيراً ما يأخذ الشخص الذي لا يجب أخذه، وأنه ـ كما قلت لعزرائيل ـ بلا قواعد ولا نظم، فما استطعت مرة واحدة أن أبصره في موضعه، وما أشعرني قط بحكمته ورويته، وإنّي لأوقن أن الدنيا ربّما قد تكون خيراً مما كانت لو أنّ للموت قواعد ونظم، فلا يصيب إلاّ الأشرار والذين لم يعد لوجودهم في الدنيا نفع ولا فائدة» (السباعي، لا تا: ٣٩) ومن ثم بدأت ترد على خاطره حوادث الموت الطائشة التي رآها في الدنيا والتي لم يكن يجد لها آنذاك أية حكمة. ويتحدث عن ضرورة تحقيق النظم في قبض الأرواح قائلاً: «لا بدّ أن أكون عزرائيلاً نموذجياً سأضرب للسيد عزرائيل المثل الصالح، فلعلّه يبصر على ضوئه مقدار ما كان يرتكب من أخطاء، ولعلي أرسم طريقاً سوياً يسر على هداه في مستقبل الزمن فأكون بذلك قد أسديت إلى البشر خدمة كبرى، ووضعت لهم

1. Self-Actualization

نظماً وقواعد للموت، فلا يعودون يفاجئون به بعد ذلك، وتصبح حياتهم خيراً من تلك الحياة القلقة المضطربة» (السباعي، لا تا: ٤٢- ٤٣).

وأمّا فيما يرتبط بالبحث عن القيم العليا فترى نائب عزرائيل يتحدث عنها، وذلك في القسم الثاني (البحث عن جسد) عندما طلب عزرائيل منه أن يعود إلى الدنيا بسبب عدم وفاءه بالوعد الذي وعد به عزرائيل في الالتزام بالورقة الكتوب فيها أسماء الأرواح المطلوبة قبضها فيريد منه أن يهبط إلى الأرض ويكون موعد ميلاده هو موعد مولد زعيم، وعندما يتعجب نائب عزرائيل من أن يولد زعيماً وهو كان يعيش في حي شعبي، ويناقشه في هذا الموضوع وفي عدم إمكانية تحقق هذا الأمر بروح من السخرية والدعابة وبعد أن يؤكد على الرسالة الخطيرة التي يجب أن يؤديها الزعيم، يشير إلى غياب القيم الخلقية في المجتمع وضرورة وجود زعيم يقلع الأشرار من البلد؛ فيقول: «ما آخرة هذا الفساد الذي تسرب في كل نواحي حياتنا؟! ما آخرة هذا الانحطاط الذي بدا في كل مظاهرنا وبواطننا؟ انحطاط في كل فئة وفي كل ناحية، لقد انهارت المثل العليا، وأصبحت الأنانية والخسة والوضاعة والنفعية تسيطر على الأذهان والأعمال والتصرفات» (السباعي، لا تا: ١٩٥-١٩٦). ثم يتساءل من هو الذي ينقذنا من هذه المرارة، وهو يقول في الجواب: «يتركز الجواب في كلمة واحدة، زعيم صالح، يجير البلد من نفسها ومن أشرارها وتجارها وسفلتها من محكومين وحكام، أجل أن كل حل مآله إلى زعيم يأخذ بيد هذا البلد فيقيله من عثرته ويرفعه من كبوته» (السباعي، لا تا: ١٩٦).

كما أنّ الكاتب بسبب اهتمامه بسيادة القيم العليا في البلد ينتقد الزعماء قائلاً: «ما أعجب أولئك الذين بيدهم الأمر في هذا البلد، هم يحرصون على المناداة بمحاربة الفقر والمرض والجهل مع أنّ المسألة في حدّ ذاتها لا تحتاج إلى حرب وقتال، بل لا تحتاج منهم إلاّ أن يأمروا بالبرّ ولا ينسوا أنفسهم، هذا هو كل ما في الأمر» (السباعي، لا تا: ٧٣).

وبعد أن قرّر نائب عزرائيل أن يهبط إلى الأرض ويحلّ في جسد وليَ عهد، ينصحه عزرائيل بأن يفعل كل شيء بقدر وألّا يبالغ في شيء، فلذة الأكل ولذة الجنس ولذة المال، وكلَ لذة لا بد أن يكون لها حد، وعليه أن يوازن بين السعادة التي يحصل عليها وبين الشقاء الذي يحتمل أن يصيب غيره. (أنظر: السباعي، لا تا: ٢٣٧-٢٣٨) ولكن عندما يهبط عزرائيل بعد ثلاثين عاما ليلتقي بالملك يتحير من هذا الملك السمين المنتفخ البطن والذي ذهبت عنه سمات الآدميين وأصبح يشبه الفيل الأبيض، كما أنّه بدل أن يحقق

هدفه الأول وهو السعادة - حسب ما ادعاه قبل هبوطه إلى الأرض- كان قد تجاوز كلَ سد وحطّم كلَ قيد، ولكن ليس في سبيل هدفه، بل انطلق «كالحصان الجامح الثائر الذي يظل يعدو إلى غير غاية حتى تقطع أنفاسه وتخور قواه» (السباعي، لا تا: ٢٤٦). في الواقع أن هذه الشخصية التي كانت قد سلكت المراتب اللازمة لتحقيق الذات، والسعادة وسيادة القيم العليا في البلد كانت بغيته ومناه، قد فشلت في مرحلة العمل في تحقيق هدفها بسبب انغماسه في إشباع الحاجات الدنيا وعدم إشباعه للحاجات العليا؛ فيقول له عزرائيل: «لقد قلت لك افعل كل شيء بقدر ولا تبالغ في شيء، فيرد عليه الملك قائلاً: «أجل تلك هي المصيبة، لقد استلهكت كل مسببات السعادة وتجاوزتها ولم أجد بعد في كل ما حولي سوى أشياء جافَة كمصاصة القصب التي استنفدت عصارتها، ولكن ما ذنبي أنا إذا كنت لم أجد سداً يقف في سبيلي؟ ما ذنبي وأنا لم أجد اللجام الذي يوقفني؟!» (السباعي، لا تا: ٢٤٦). فلهذا كانت الجماهير الثائرة خارج القصر تهتف ضد الملك، فيطلب الملك من عزرائيل أن يقبض بعض الأرواح غير الموالية للعرش ليريحه منهم من أعضاء البرلمان إلى الشيوعيين وطلبة الجامعة، وفجأة يدخل الثوار إلى الصالة وتنطلق رصاصة فتصيب جسد الملك ويقع صريعاً، ويعود مع عزرائيل إلى الدار الآخرة.

فهكذا نرى أن بطل الرواية أو نائب عزرائيل رغم أنّه تخطى أغلب مدارج الحاجات اللازمة لتحقيق الذات من الحاجة السايكولوجية إلى حاجات الأمان، وحاجات التقدير، لكنّه فشل في تحقيق الذات، رغم أنّه كان ملماً بكلّ ملامحها وتحدث عنها كثيراً مع عزرائيل.

النتائج

حسب دراستنا في شخصية يوسف السباعي وفي روايته نائب عزرائيل على أساس نظرية ماسلو وهرم الحاجات الإنسانية توصلنا إلى النتائج التالية:

١. إنّ شخصية يوسف السباعي حسب آراء ماسلو حول الشخصية الإنسانية، تندرج تحت الشخصية المحققة لذاتها؛ حيث تجلّت فيها بوضوح أربع عشرة ميزة من الميزات التي يرى ماسلو حضورها (١٥ ميزة) ضرورياً في الشخصية حتى تصل إلى هذا المستوى.
٢. كما لاحظنا أنّ الحاجات الإنسانية الرئيسة التي أدرجها ماسلو في هرم الحاجات، قد تمّ توظيفها في رواية نائب عزرائيل وقد ركز عليها الكاتب في الأغلب من خلال

بطل الرواية أو بعبارة أخرى الشخصية التي لعبت دور نائب عزرائيل؛ فوجدنا جميع هذه الحاجات تفرض نفسها على الشخصية حسب الموقف، وهي الحاجات الفسيولوجية، الحاجة إلى الأمن، الحاجة إلى الانتماء والحب، حاجات التقدير، والحاجة إلى تحقيق الذات.

٣. إنّ بطل الرواية قد نجح في اشباع الحاجات الفسيولوجية والحاجة إلى الأمن وحاجات التقدير، ولكن لم يتم إشباع حاجة الحب والانتماء والحاجة إلى تحقيق الذات في نفسه، رغم أنّه قد تحدّث كثيراً مع عزرائيل عن لوازم تحقيق الذات وغايته العليا وهي إحلال النظم وإقرار العدل وتحقيق السعادة في البلد.

٤. يمكننا أن نأخذ على هرم ماسلو حيث لا يعين كيف نقيس كمية الإشباع التي يجب أن يتحقق في مستوى معين حتى تصبح الحاجة التي تقع في المستوى الأعلى منها، بارزة وتطلب الإشباع هي الأخرى، كما رأينا ذلك في الحاجات الفسيولوجية (الحاجة إلى الأكل والحاجة إلى الجنس) عند بطل الرواية حينما أصبح زعيماً، فرأينا مهما جاوز الحدّ في إشباع هذه الحاجات، لم يصل إلى حد المستوى الذي يليه، وبالنهاية لم يتمكن أن يصل إلى مرحلة تحقيق الذات، رغم أنّه كان ملمّاً بملامحها وعالماً بزواياها، أو عندما وصل بطل الرواية إلى مستوى الحاجة إلى التقدير وقد تمّ إشباعها، لم يتمكن أن يجتاز مرحلة تحقيق الذات رغم أنّه كشف بعض الحقائق كحقيقة الموت وكانت فيه رغبة شديدة في أن تكون القيم العليا سائدة في البلد.

المصادر والمراجع

١. أبو أسعد، أحمد عبد اللطيف؛ الختاتنة، سامي محسن؛ البكور، نائل (٢٠١١م). *علم نفس النمو*. عمان: مركز ديبونو لتعليم التفكير.

٢. حمادات، محمد حسن (٢٠٠٨م). *السلوك التنظيمي والتحديات المستقبلية في المؤسسات التربوية*. عمّان: دار الحامد للنشر والتوزيع.

٣. السباعي، يوسف (لا تا). *نائب عزرائيل*. القاهرة: دار مصر للطباعة.

٤. الشاروني، يوسف (٢٠٠٣م). *الروائيون الثلاثة: نجيب محفوظ، يوسف السباعي، محمد عبد الحليم عبد الله*. ط ٢، القاهرة: مركز الحضارة العربية.

٥. عبدالرحمن، محمد السيد (١٩٩٨م). *نظريات الشخصية*. القاهرة: دار أنباء للطباعة والنشر والتوزيع.

٦. عويضة، كامل محمد محمد (١٩٩٦م). *مدخل إلى علم النفس*. ج ٢، مراجعة: محمد رجب البيومي، بيروت: دار الكتب العلمية.

٧. عيسى، عماد الدين (٢٠٠٧م). *السخرية في قصص يوسف السباعي*. تاريخ الوصول: ١٩٩٨/٣/٧ الموقع: http://www.arabicstory.net/forum/index.php?/topic/7488

٨. فرويد، سيغموند (١٩٨٢م). *مساهمة في تاريخ حركة التحليل النفسي*. ترجمة: جورج طرابيشي، ط ٢، بيروت: دار الطليعة.

٩. قطوس، بسام (٢٠٠٤م). *المنهج النفسي في النقد الحديث- النقاد المصريون نموذجا*، الكويت: لجنة التأليف والتعريب والنشر- جامعة الكويت.

١٠. محمد، حسين علي (٢٠٠٨م). *يوسف السباعي فارس في مضمار الأدب*، تاريخ الوصول: ١٩٩٨/٣/٧ الموقع: http://azaheer.org/vb/archive/index.php/t-24360.html

١١. نويل، تشان بيلمان (١٩٩٧م). *التحليل النفسي والأدب*. ترجمة: حسن المودن، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

١٢. هواري، محمد (٢٠١٨م). *أعلام الأدب العربي المعاصر: ترجمة حقيقية لـ٥٠ شخصية أدبية*. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٣. اليسوعي، روبرت ب. كامبل (١٩٩٦م). *أعلام الأدب العربي المعاصر: سير وسير ذاتية*. بيروت: الشركة المتحدة للتوزيع.

١٤. يعقوب، لوسي (لا تا). *يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية*، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

Sources

Abd al-Rahman, M. A. (1998). Personality Theories. Cairo: Anbaa Publishers. [in Arabic].

Abu Asaad, A. A.; Al-khatatenah, S. M.; Al-bacoor, N. (2011). Developmental Psychology. Amman: Debono Center for Teaching Thinking. [in Arabic].

Al-Sabaei, Y. (n.d.) Naeb Ezraiel. Cairo: Dar-al Misr Publications. [in Arabic].

Al-Sharouni, Youssef (2003). The Three Novelists: Naguib Mahfouz, Youssef Al-Sabaei, Mohamed Abdel-Halim Abdullah, 2nd Ed., Cairo: Arabic Civilization Publications. [in Arabic].

Awaida, K. M. (1996). An Introduction to Psychology: Part 2. Reviewed by: Mohammed Rajab Al-Bayoumi, Beirut: The scientific books Publication. [in Arabic].

Freud, Sigmund (1982). Contribution to the history of the movement of psychoanalysis. Translated by: George Tarabishi, 2nd edition, Beirut: Al-Taleea Publication. [in Arabic].

Hamadat, M. H. (2008). Organizational behavior and future challenges in educational institutions, Al-Hamid Publishing and Distribution. [in Arabic].

Hawari, M. (2018). Flags of Contemporary Arabic Literature, a true translation of 50 literary figures. Beirut: The scientific Books Publication. [in Arabic].

Issa, I. (2007). The irony in the stories of Youssef al-Sebaei. Retrieved May 28, 2019 at http://www.arabicstory.net/forum/index.php?/topic/7488. [in Arabic].

Jacob, L. (n.d.) Youssef Sibaei Faris, romance and realism. Cairo: The Egyptian Lebanese Publishers. [in Arabic].

Jesuit, R. B. (1996). Flags of Contemporary Arab Literature: Biographies and Resumes. Beirut: United Distribution Company. [in Arabic].

Muhammad, H. A. (2008). Youssef al-Sibaei Faris in the field of literature. Retrieved May 28, 2019 at http://azaheer.org/vb/archive/index.php/t-24360.html. [in Arabic].

Noel, V. P. (1997). Psychoanalysis and literature. Translated by: Hassan al-Mawadin, Cairo: The Supreme Council of Culture. [in Arabic].

Qattus, B. (2004). The Psychological Approach to Modern Criticism: Egyptian Critics as a Model. Kuwait: The Authoring, Arabization and Publishing Committee, Kuwait University. [in Arabic].